المكتبة القبطية على الانترنت

http://copticlibrary.110mb.com

الكَاهِن وَالقلبُ النارى

لوندي

القمص

تادرس يعقوب ملطى

الكَاهِن وَالقلبُ النارى

لوندي

مارس ٢٠٠٠

القمص تادرس يعقوب ملطي

St. Mina's Coptic Orthodox Church
Holmdel – NJ.

Coptic Orthodox Patriarchate

Diocese of Southern United States

Priests Meeting 13th –16th March 2000

ألقيت هذه الكلمة في اجتماع الآباء الكهنة

تحت رعاية نيافة

الأنبا يوسف

أسقف إيبارشية جنوب الولايات المتحدة الأمريكية

قامت السيدة المباركة ماجدة حنا

بكنيسة مار مرقس بنيوجيرسي بكتابة المقال بالكومبيوتر

الرب يبارك كل تعبها

رقم الإيداع : ٢٠٠٠ / ١١٠٢٢

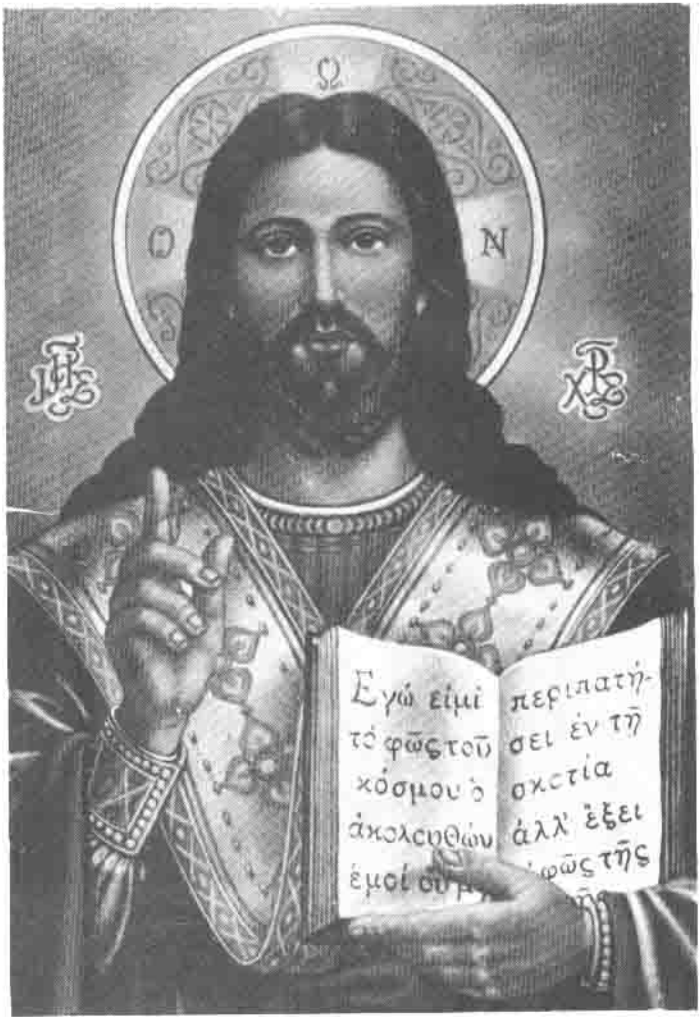
Ω
Ο
Ν
ΙΗΣ
ΧΡΣ
Ἐγώ εἰμι
τὸ φῶς τοῦ
κόσμου· ὁ
ἀκολουθῶν
ἐμοί οὐ
περιπατή-
σει ἐν τῇ
σκοτία
ἀλλ' ἕξει
φῶς τῆς

حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

خلال دراستي لسفري الملوك الأول والثاني انسحب قلبي نحو شخصية إيليا النبي، رجل الله الناري. الذي عاش في خدمته بقلبٍ ناري، حتى في بعض معجزاته نزلت نار من السماء سواء لإبادة قائديّ الخمسين وجنودهما (٢مل١)، أو للإعلان عن قبول الله لذبيحته (١ مل ١٨: ٣٨). استحق صاحب القلب الناري بالنعمة الإلهية أن يبعث له الله مركبة نارية بخيل نارية (٢ مل ٢: ١١) لتحمله إلى السماء، فيشارك السمائيين الناريين، ويتمتع بحضرة الله النار الآكلة.

نار الحب الرعوي

الكاهن وهو يرتبط بالكاهن الأعظم رب المجد يسوع يحمل أبوّة نحو كل البشرية. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: "أيها الكاهن أنت أب كل العالم". هذه الأبوّة المستمدة من الحب الإلهي الناري تدخل بالكاهن إلى العالم ليرى غير المؤمنين كمن هم في قبور، فيقدم لهم السيد المسيح القائم من الأموات لكي يشاركوه الحياة المُقامة. عمل الكاهن الأول هو "**الإقامة من الأموات**". الأمر الذي لن تقدر خليقة ما في السماء أو على الأرض أن تحققها. إنها عمل السيد المسيح نفسه. فالكاهن يختفي في الكاهن الأعظم ليراه يقيم الأموات، يقيم النفوس منرقبة قيامة الأجساد في يوم الرب العظيم

لتشاركها مجدها الأبدي.

عبور بالشعب إلى السماء

الكاهن الذي ذاق خبرة الحياة المُقامة في المسيح يسوع يشتهي بكل قلبه أن يحمل العالم كله بروح الله القدوس إلى الآب القدوس في المسيح يسوع ليصير العالم في عينيه سماء مقدسة. لا يتحطم إن رأى العالم قد صار أشبه بوحلٍ ورمادٍ، فإنه يُقدم المخلص السماوي القادر بنار حبه الإلهي أن يحول التراب إلى سماء، فيسمع كل مؤمنٍ: "أنت سماء وإلى السماء تعود" بعد أن كان يقال له: "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك٣: ١٩). إن علق الكاهن على عبارة من الكتاب المقدس أو أشار إلى قانون كنسي أو أورد نصًا آبائي أو ذكر سيرة قديس أو تاريخًا كنسيًا **إن لم يسحب قلب سامعيه إلى السماء يكون قد انحرف عن طريقه الإنجيلي الكنسي الحق.**

أذكر أن مؤمنًا قال لأحد الكهنة بعد خدمة دامت حوالي خمسة أشهر: "أود أن اعترف لك"، ثم أضاف: "كنت أقرأ الكتاب المقدس وأصلي وأخدم كثيرًا منذ سنوات طويلة، لكن خدمتك لي في هذه الشهور ألخصها في كلمات قليلة وهي: لقد رفعت قلبي إلي السماء، وذقت عذوبتها، الأمر الذي لم أختبره من قبل!

التمتع بعمل الثالوث القدوس الناري

الكاهن وقد إنفتحت أبواب السماء أمامه يرى حضن الآب مفتوحًا له، يحمله إليه الروح القدس، وقد دفع كلمة الله المتجسد دمه ثمنًا لذلك. هكذا لن يفارق عينيه عمل الثالوث القدوس. شهوة قلبه أن يحمل كل إنسان في العالم ليمتعه بعمل الثالوث القدوس الناري، فيُدرك أبوّة الآب الحانية، وعطية المسيح الفائقة، وشركة الروح القدس. يقول **العلامة أوريجينوس** إن الكنيسة تكتظ بالخدام والمعلمين القادرين على تقديم تعاليم كثيرة عن السيد المسيح، لكن قلة قليلة جدًا قادرة أن تدخل بشخص السيد المسيح إلي قلوب السامعين أو تحمل السامعين إلى قلب السيد المسيح.

التمتع بخبرة الحياة الملائكية المتهللة

خبرة التمتع بالثالوث القدوس عمليًا تفتح قلب الكاهن للحياة الإنجيلية، فيختبر الأخبار المفرحة. ترمومتر مسيحيته هو الفرح الداخلي، الذي يجتذب النفوس للتمتع بخبرة الحياة الملائكية المتهللة. فرح الكاهن هو الشهادة الحيّة والكرازة العملية للإنجيل المقدس.

كم من بابتسامة صادقة نابعة عن قلب سماوي فتحت أبواب الرجاء أمام نفوس محطمة. وكم من عبوسة لكاهن حطمت كثيرين وحرمتهم من التمتع بأيقونة السماء. فلا عجب إن قال الأسير بولس: **"افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضًا افرحوا"** (في٤: ٤). حقًا

كان الرسول بولس يئن مع كل نفس متألمة ومع كل شخص متعثر في الإيمان. إذ يقول: "من يضعف وأنا لا اضعف؟ من يعثر وأنا لا التهب؟" (٢كو ١١ :٢٩)، لكن بقيت بشاشة وجهه النابعة عن فرح المسيح الداخلي سرّ جاذبية للنفوس لكي تتلامس مع السماء عينها!

اذكر يومًا ما اشتكت إحدى الخادمات منى لأني إذ التقيت بها كنت عابسًا ولم أعرها اهتمامًا. وإذ عرفت ذلك اليوم الذي فيه هكذا تصرفت تذكرت أنني كنت جالسًا لمدة ساعات مع إنسان عنيد مصمم على إنكار الإيمان بغباوة وتصلف رأي وعناد مع أسرته لأسباب عائلية. لكنني تساءلت: "إن كان هذا الإنسان يلقي بنفسه في الهلاك، ويلزمني أن أبذل كل الجهد لإنقاذه، فلماذا أحمل عبوسة تفقد الآخرين سلامهم الداخلي وربما تعثرهم في الكنيسة المتهللة بالرب؟"

لنذكر كلمات **القديس يوحنا الذهبي الفم**: "**الكنيسة أيقونة السماء**"، فنقدم حتى ببشاشتنا شهادة حية وصادقة للسماء التي فينا. هذا ما يؤكده رب المجد نفسه بكلماته وأعماله. فقد قال لتلاميذه: "ملكوت الله داخلكم". وكتب عنه بيلاطس بنطس لهيرودس أنه كان دائم البشاشة ولم يوجد قط ضاحكًا، لكنه في ظروف معينة وُجد باكيًا. كتب أيضًا أن الإنسان يشتهي أن يرى وجهه لكن القادة اليهود كانوا يخشونه جدًا.

بث روح القيادة الروحية

عمل الكاهن أن يُقدم لشعبه ثمر الروح ألا وهو الفرح الممتزج بالحب الأصيل. هذا يدفعه إلى الاهتمام بكل عضو في الكنيسة **لكي يمارس الكل دوره الإيجابي الحي في الشهادة للسيد المسيح**. هكذا يصير الكاهن قائدًا ناجحًا، إذ يخلق في كل مؤمن روح القيادة. يعرف كيف يسند الكل للعمل الفعال لبنيان الكنيسة، فلا يوجد بينهم إنسان خامل، ولا نفس محطّمة.

امتاز أبونا الحبيب القمص بيشوي كامل بالقدرة على تشغيل الطاقات لحساب مملكة المسيح بفكرٍ روحيٍ متواضعٍ ولكن غير محطم، يعرف أن يوجه الطفل الصغير كما الشيخ المسن والسيدة ربة البيت للعمل المستمر.

اذكر على سبيل المثال جاءني صبي صغير يشتكي من والده المتوترة أعصابه على الدوام والذي حوّل البيت إلى جحيم لا يطاق، وقد فقد أصدقاءه وجيرانه حتى زملاءه العاملين معه. سألت الصبي إن كان يصلي من أجل والده لكي يتمتع بالسماء وإن كان يوجه أصوامه لأجل سلام قلب أبيه وأيضا مطانياته (سجداته). وأخيرًا قلت له: "ليكن قلبك مفتوحًا وذهنك متسعًا وتهتم بخلاص أبيك". بدأ الصبي يخدم والده ببشاشة ويصلي من أجله ويصوم ويصنع مطانيات. تلامس الأب مع محبة ابنه في الرب، فتغير قلب

الأب، بل وتغيرت ملامح الأسرة تمامًا. هكذا أدركت إن عملي توجيه الطاقات للعمل، حتى وإن كانت طاقات صبى مغلوب على أمره.

مرة أخرى في أواخر ١٩٩٩ كنت في زيارة أحد الشيوخ بلوس أنجلوس. وكان يقطن وحده بالقرب من الكنيسة، وكان غير قادرٍ على الذهاب إلي الكنيسة ما لم يعبر به أحد ويأخذه في سيارته. أحسست أنه إنسان يعاني من الشعور بالعزلة، والعجز عن القيام بأي عمل مما قد يحطم نفسه. تساءلت كيف يمكن تشغيل طاقاته لحساب ملكوت الله؟ في حديثي معه قلت له: هل تعلم أن الكنيسة في حاجة إلى أناس الله يصلون فيحركون السماء لحساب خلاص العالم كله؟ عملك هام ورئيسي. إن كرست وقتًا يوميًا للصلاة من أجل الكهنة والخدام والخادمات والشمامسة والشعب، فالكنيسة تتحرك بعمل الله خلال صلواتك. الكنيسة محتاجة إلى شيوخ يصلون من أجل كل المجاهدين بل وخلاص كل البشرية في العالم. أود لو تكتب على "شقتك" : "**دير الأخ فلان**". تهللت نفس الشيخ جدًا، إذ شعر بدوره الفعال الحيّ في العمل الكنسي.

كيف يتحول الكاهن إلى جمر نار؟

الكاهن أشبه بجمرة نار تُلقى وسط كم من الفحم، وإذ بروح الرب يهبّ فيشعل الكثيرين بنار الحب الإلهى عن طريقه.

يتساءل بعض الكهنة: كيف يلتهب قلبي بالنار الإلهية حتى أشعل قلوب الآخرين معي بذات النار؟

١. **نظرة الكاهن إلى العالم والمادة لها أثرها العملي في التهاب قلبه بالحب الإلهي.** يتطلع الكاهن الملتهب بالروح إلى العالم والمادة كعطية إلهية جميلة ونافعة، لكنه يشبه طفلاً في الحضانة، إذ يسمع صوت قدمي والدته يترك طعامه واللعب والمدرسين ليجرى تجاه الباب يحتضن أمه التي تحمله وتقبّله. هكذا مع نظرتنا المقدسة للعالم وما فيه لكننا نسمع صوت مجيء مسيحنا إلينا فنترك كل شئ لكي نلتقي بخالق العالم ويحملنا على منكبيه وينطلق بنا إلى بيتنا السماوي. ما يسحب قلب الكاهن وعقله وأحاسيسه ومشاعره هو **المسيح القادم من أجله ومن أجل كل إنسان في العالم.** فالمادة مع صلاحها تحت قدميه لن تستطيع أن تجتذب عينيه أو فكره أو قلبه.

هذه النظرة المقدسة للعالم والمادة مع شوق حقيقي للسماوي والسكنى معه في سمواته أبديًا تدخل بنا إلى **خبرة التجديد اليومي العملي** في أعماقنا. فالكاهن الناري لن يحيا عبدًا لروتينٍ قاتلٍ، ولا ينشغل بالحرفيات. إنما وهو يسلك بتدبير حسن ونظام لائق يدخل إلى أعماق الشركة مع الله فيحيا في كل لحظة كأنه ينال أمرًا جديدًا لم يسبق له أن يتمتع به.

٢. **التمتع بالتجديد المستمر:** فالكاهن في شركته مع الله

الينبوع الذي يفيض بالمياه الحيّة يرتوي، بل وتجري من بطنه أنهار مياه حيّة. وكما يقول السيد المسيح: "من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي" (يو٧ :٣٨). يتلامس المؤمنين معه فلا يجدونه أشبه ببركة راكدة ممتلئة بالطحالب وبحوم حولها البعوض والحشرات الضارة، بل يجدونه بالحق يشارك مسيحه هذه السمة، انه ينبوع يفيض بمياه حية تروي الأعماق.

الكاهن الناري لن يشيخ قط حتى وإن ابيضّ شعره، وإن ربطه المرض بسريره. فإنه يبقى قلبه الناري شابًا، دائم التجديد بروح الله القدوس، يترنم على الدوام قائلاً: "الذي يُشبع بالخير عمرك، فيتجدد مثل النسر شبابك" (مز ١٠٣ :٥). لا يعرف قلبه الضعف ولا ينسحب إليه اليأس، بل يبعث روح الرجاء في الآخرين. كل من يلتقي به يراه كأنه يلتقي معه لأول مرة، لن يملْ من كلماته ولا يشعر بأية علامات للاستكانة والجفاف.

يترنم الكاهن مع الرسول بولس قائلاً: "إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا" (٢كو ٥ : ١٧) هذه التسبحة يتغنى بها قلبه على الدوام، ويُعلّمها عمليًا لمن هم حوله، بكلماته وأعماله وملامح وجهه. يُدرك كل من يلتقي به أنه ليس من هذا العالم الذي يبعث في النفس نوعًا من الملل، وإنما هو من الحياة العتيدة التي لا تعرف القدمْ

والشيخوخة والضعف.

حياة الكاهن الداخلية المتجددة تنعكس على كلماته وعظاته. كل من يسمعها يشعر كأنه يسمعه لأول مرة، كأنه يسمع ما هو جديد!

٣. **الحاجة إلى التعلم من الآخرين:** لكي يتحول الكاهن إلى جمر نار ملتهب يليق به ألا ينظر إلى نفسه كقائد لغيره، بل **كمؤمن يحتاج أن يتعلم من كل إنسان في العالم.** لدى الكاهن الفرص الكثيرة لكي يتعلم من الأطفال والشباب والرجال والنساء والشيوخ. يجد فرصة ليتعلم من مريضٍ روح الشكر، ومن متألم روح الصبر والاحتمال، ومن المُعطي روح السخاء والبذل. **هكذا يرى الكاهن في كل عضوٍ في الكنيسة مدرسة له للتعلم.**

يقول **الأسقف أمبروسيوس** أنه لا يوجد أحد لا يحتاج أن يتعلم إلا الله وحده. ففي نظره كل أسقفٍ يلزمه أن يتعلم كل يوم ممن هم حوله. فاليوم الذي فيه لا نتعلم من أخر شيئًا مفقود بل ومدمِّر لحياتنا.

من الخطورة أن يظن الكاهن أنه يعلم الآخرين ويلتزم الكل بطاعته، ولا يشعر بحاجته أن يتعلم منهم. كهذا كان **القديس يوحنا الذهبي الفم** يحذر نفسه واخوته الأساقفة قائلاً: "**عجبي من أسقف يخلص**". وكان **القديس يوحنا سابا** يخشى دومًا من ثيابه الكهنوتية

السوداء لئلا تسحبه من روح التعلم إلى الرغبة المستمرة في التعليم كأنه أفضل من غيره.

٤. تعرفه على مركزه الكنسي: لكي يحيا الكاهن أشبه بجمرٍ ناريٍ يلهب الآخرين، ولا تقدر أية ظروف محيطة به أن تطفئ هذه النيران الإلهية يلزم أن يتعرف على مركزه الكنسي.

أولاً: "**إنه خادم أبناء سيده**، لا يستحق أن يمد يده ليغسل أقدامهم. فإن هذا ليس عمله بل عمل **سيده غاسل أقدام البشرية**. فإنها كرامة عظيمة لن يستحقها أن يُمارس عمل سيده الفائق: غسل الأقدام بفرح وبهجة قلب.

الكاهن في حبه لسيده يتشبه به، ويرد حب السيد له بحبه لأبناء سيده. فيشتهي أن يموت معه لكي يحيا الكل. مسرته أن يتألم هو ويستريح الجميع، وأن يحتل آخر مكان ليكون الكل أمامه أفضل منه وأكثر منه مجدًا حتى في الحياة الأبدية. يود أن يفتقر مع سيده ويغتني الكل، وأن يكون محرومًا والكل في شبعٍ وفيضٍ.

لن يطلب الكاهن ما لنفسه سواء ماديًا أو معنويًا حتى المجد الأبدي، بل يطلب ما هو لسادته أبناء سيده، فيقول مع الرسول بولس: "فإني كنت أود لو أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل اخوتي أنسبائي حسب الجسد" (رو٩ :٣).

حين يقول الرسول بولس: أنتم إكليلي" (في ٤ : ١) لست

أظن أنه يقصد بمجرد انهم إذ يقبلون رسالته ويتمتعون بالخلاص يزداد إكليله كخادم ناجح. إنما أشعر انه يقصد بأنه إذ يراهم في هذا العالم كما في الحياة العتيدة يحملون إكليل المجد، يحسب كأنه هو الحامل للإكليل.

ثانيًا: **إنه الغارس أو الساقي فلاحة الله** (١كو ٣: ٦)، والله هو الذي ينمي. فالكاهن مدعو للعمل في كرم الرب، مدركًا انه ليس إلا غارس أو ساقي. إن كان غارسًا فلا يغرْ من الساقي ولا ينتفخ عليه. كل يقوم بالعمل حسب موهبته التي قبلها كعطية من الله. لن يشعر بأن موهبته أحقر من مواهب الآخرين ولا أفضل منها. إنما يعمل مع الآخرين بروح الانسجام والتناغم، أما العامل الحقيقي فهو الله الذي ينمي النفس ويهبها الحياة المُقامة.

الكاهن الناري لن يحطمه يأس أو يعاني من حالة إحباط، وفى نفس الوقت لن يسقط في الكبرياء بالتشامخ، بل يشعر بحق أن الله قدم له أفضل ما يناسبه لبنيانه الشخصي ولبنيان كنيسة الله.

ثالثًا: **يدرك الكاهن مركزه كوكيل الله السماوي وسفير السيد المسيح**. ما يفكر فيه وما ينطق به وما يعمله إنما يتناغم مع فكر المسيح وكلماته وتصرفاته. فالكاهن الحريص على تمثيل شخص المسيح ومملكته يحمل أيقونته في أعماقه كما في تصرفاته. فلا عجب إن سمعنا **القديس أغسطينوس** وهو يحدث ليس الكهنة بل

الشعب، قائلاً: "أنتم المسيح".

كوكيل للسيد المسيح لا يهتم أن يرضي الناس بل موكله محب كل البشرية. يحمل الكاهن البشرية في قلبه من أجل المسيح الحامل الكل بعنايته الإلهية الفائقة.

مسيحنا مفرح القلوب، خلق الإنسان لكي يقيم منهم ملكوتًا متهللاً. وجاء إلى أرضنا لكي يحملنا إلى سمواته كملائكة الله الفرحين بالرب. والكاهن كسفير للمسيح يصير أيضًا مصدر فرح للغير. يتشبه بالسيدة العذراء مريم التي بزيارتها للقديسة اليصابات ارتكض الجنين (يوحنا المعمدان) في بطن أمه. حوّلت رحم اليصابات إلى مكان مفرح فيه يتهلل الجنين الذي لم يكن بعد قد اكتمل بعد. لم يتهلل الجنين وحده بل وبعث في والدته روح الفرح. هكذا عمل الكاهن ليس فقط أن يتمتع بالسيد المسيح مفرح القلوب، وإنما يصير هو مصدر فرحٍ للآخرين، ويقيم من الآخرين الذين حولهم مصدر فرحٍ لمن يلتقون بهم. بهذا ينتشر ملكوت الله بنشر بهجة الخلاص وامتدادها المستمر بلا توقف .

رابعًا: **يسير الكاهن الناري في موكب النصرة تحت قيادة السيد المسيح الغالب لقوات الظلمة.** يحمل الكاهن روح التحدي فلا يخاف الأحداث ولا الأشخاص، ولا الخطية ولا العالم، بل ويتحدى الموت، قائلاً: "أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا هاوية؟!" (١ كو

١٥: ٥٥).

إذ يدرك الكاهن موقعه في موكب الغلبة يدرك إمكانياته في المسيح يسوع، فيتحدى العالم الشرير وملكوت الظلمة ويبث هذا الروح في حياة مخدوميه. نقرأ في إحدى العظات الإكلمنضية تحدي الكاتب، فيقول إني مستعد أن أقدم أصغر طفل مسيحي، وهو يتحدى أقوى شيطان. وجاءت كتابات آباء الكنيسة تحمل الفكر الإنجيلي، حيث تتحدى بروح النصرة قوات الظلمة كأنها مدوسة تحت أقدام المؤمنين.

للأسف كثير من الخدام يوجهون أنظار أبنائهم إلى الخطية فيرتعبون، عوض تركيز أنظارهم على شخص السيد المسيح، وارتفاع قلوبهم إلى الصليب، وتمتعهم بأحضان الأب، واكتشافهم سُكنى الروح القدس فيهم.

إنه لأمر عجيب أن تتحول أنظارنا عن سرّ قوتنا وغلبتنا ومجدنا للانشغال بالتفكير فيما يحطم نفوسنا.

لكي يحمل الكاهن قلبًا ناريًا يليق به في أحاديثه عن التعليم الإنجيلية والأسرار الكنسية والفضائل المسيحية أن يربطها في قلبه كما في كلماته بالله النار الآكلة. أذكر أمثلة عملية لذلك:

أ - في إحدى جلساتي مع بعض الشباب سألتهم: "**ما هي مشاعركم أثناء الاعتراف؟**" أجابت شابة صغيرة: "أشعر بالرعب".

وإذ ناقشنا الأمر كشف البعض عن خوفه من أن يسيء أب الاعتراف فهمه لهم أو يسئ نظرته إليهم، أو أنهم يشعرون بالخجل من أنفسهم. عندئذ سألتهم: "ما هي مشاعر فتاة في يوم زفافها وهى تتهيأ لارتداء ثوب العرس وقد اهتمت والدتها وأخواتها وصديقاتها بتجميلها لذلك اليوم الفريد بالنسبة لها؟" أجاب الكل: "حتما تكون متهللة، فإنه يوم لم يحدث مثله من قبل ولن يكون من بعد". أجبتهم: "هذه هي نظرتنا للاعتراف. إنه ليس سردًا لقائمة خطايا أو أخطاء ارتكبناها، إنما هو تهيئة للإنسان بكليته لكي يتزين ويرتدى ثوب العرس وينطلق في موكب سماوي مع العريس الأبدي، يُفرح قلب الله ويهنئه السمائيون".

حتى في لحظات التوبة والاعتراف يليق بي ككاهنٍ أو كمؤمنٍ أن تتركز عينا قلبي على العريس السماوي، فأشكره على دعوتي للعرس وقبولي عروسًا أبدية مقدسة، مع حديثي الصريح عن ضعفاتي لكي يعالجها العريس بروحه القدوس.

في منطقة هومديل بنيوجيرسي قمت بزيارة أسرة، وبعد تمتعنا بجلسة مفرحة حول الكتاب المقدس طلب الزوجان أن يعترفا، وبالفعل اعترفا ثم اعترف ابنهما، وأخيرا طلبا من طفلتهما الصغيرة جدًا والتي تبلغ ربما الخامسة من عمرها أن تعترف فرفضت وبدأت تبكى. أخذتها في حضني ثم سألتها: أتعرفين ما هو الاعتراف؟

أجابت: "لا " عندئذ سألتها: "أتحبين ربنا يسوع؟" بفرح شديد قالت "نعم". قلت لها: "هذا هو الاعتراف أننا نعلن إننا نحب ربنا يسوع". جرت الطفلة نحو والدتها وهى متهللة تقول "لقد اعترفت يا أماه. إني أحب بابا يسوع!" هكذا أردت أن أكشف لها أن صُلب الاعتراف حبها لشخص الفادي مخلص الخطاة، وبالتدريج وهى تعترف بحبه تعترف بضعفاتها، واثقة في محبة فاديها.

الاعتراف في جوهره ليس مجرد فحصًا لخطايانا وتسجيلها والاعتراف بها، إنما هو توبة صادقة خلالها يتجه القلب نحو الفادي طول النهار والليل، وبقدر ما تستنير النفس بحب الله كنور العالم يدرك المؤمن ضعفاته وفساده فيصرخ إليه طالبًا عمل روحه القدوس واهب المغفرة والقداسة.

جلستنا مع أب الاعتراف هي المرحلة الأخيرة لممارسة التوبة والاعتراف المستمرة بلا انقطاع أثناء عملنا وفى بيتنا وفى عبادتنا الكنسية، حتى أثناء نومنا.

بهذا يمارس الكاهن مع الشعب التوبة والاعتراف ليحيا الكل بروح الحب الإلهي الناري.

ب – مثل آخر وهو **الصوم**. في كنيسة الشهيد مارمينا بهوميديل سألت الأطفال: من الذي خلق الحيوانات والطيور والأسماك وأشجار الفاكهة والخضروات؟ أجابوا: "الله". لمن خلقها؟

حتمًا لي، فلماذا يطالبني بالصوم الانقطاعي عن كل الأطعمة، ثم اقتات بأطعمة نباتية، وهو الذي خلق هذا كله من أجل جسدي؟

الإجابة: الله في حبه قدم كل شيء لكي تشبع نفسي وجسدي وفكري وكل عواطفي. وإذ أراه قادمًا ليسكن في قلبي ألقي كل طعام وشراب لألتقي به. **فالصوم هو خبرة انطلاقه نحو رؤية الله والعشرة معه وعدم الارتباك بما يحتاج إليه جسدي.** فموسى النبي صام أربعين يومًا ورأى الله وتسلم منه الشريعة. وإيليا النبي بعد صوم دام أربعين يومًا التقى مع الله على نفس جبل سيناء أو حوريب وتحدث معه في صراحة فائقة! هذا ما نبغيه من صومنا، ونقدم لنفوسنا طعامها الذي هو **رؤية الله الناري.**

ج – مثل آخر وهو **الاشتراك في قداس الزواج**، فالكاهن يشترك فيه ليس إرضاء للعروسين أو لأسرتيهما. إنما وهو يفرح مع الفرحين يشترك فيه في مهابة روحية. يتطلع إلى يوم عرسه القادم حيث يزفه الملائكة ورؤساء الملائكة وكل الطغمات السماوية كعروسٍ مهيأة ومزينة لعريسها السماوي. ما يشغل ذهن الكاهن هو إعداد أعماقه بارتداء ثوب العرس، ثوب برّ المسيح، وتجميل قلبه بالروح القدس الناري الذي يشكله ليصير أيقونة العريس الأبدي. **هكذا اشتراك الكاهن والشعب في سرّ الزواج لا يسبب فتورًا روحيًا، بل يرفع قلوب الكل ويلهبهما بنار الحب الإلهي ليتمتع الكل**

بالعرس الأبدي.

د – **نظرة الكاهن أو المؤمن إلى الضيق، أو إلى الاستشهاد.** فالمؤمن يرى السيد المسيح مرافقًا إياه في ضيقه، بل ومتجليًا فيه. فعندما عامل العشرة جنود **القديس أغناطيوس الأنطاكي** بعنف شديد حتى دعاهم "أسودًا" لم ينشغل بهم بل رأى نفسه في مدرسة روحية تحت قيادة السيد المسيح نفسه. كتب في رسالته إلى أهل رومية: "إن معاملتهم السيئة كانت مدرسة أتتلمذ فيها" (ف ٥)

ويرى **العلامة أوريجينوس** الذي استشهد والده، وعاصر أكثر من اضطهاد إن السيد المسيح نفسه يسمح بالضيق، وأنه هو الذي يجاهد خلال الشهيد، وهو الذي ينال النصرة وهو الذي يُقدم للشهيد الإكليل وهو الذي يتسلم الإكليل. هكذا كان آباء الكنيسة يرون في الشهيد شخص رب المجد نفسه العامل فيه.

هـ – مثل آخر وهو **الطاعة.** فالجيل القديم غالبًا ما يشتكي من الجيل الحديث أنه عنيد يرفض الطاعة. وغالبًا ما يتطلع الجيل الجديد إلى الطاعة بكونها نوعًا من الخنوع وعدم الاستقلالية وفقدان لقوة الشخصية. لهذا فإن أول كلمة يتعلمها الطفل غالبًا هي "لا" والثانية "أنا قلت لا يعني لا".

يليق بنا عوض أن نلوم الجيل الجديد لعدم طاعته أن نكشف

لأنفسنا كما لهم مفهوم الطاعة مرتبطة بالله الناري.

يومًا ما سألت الأطفال: "من هو الأعظم السيد المسيح أم السيدة العذراء والدته أم القديس يوسف؟" أجابوا: "حتمًا السيد المسيح خالق الكل". قلت لهم: يقول عنه الإنجيلي لوقا: "كان خاضعًا لهما وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها" (لو ٢ :٥١)، فهل صار السيد المسيح أقل منهما؟ لا! إذن ليست الطاعة تعني أن المطيع أقل ممن يُطاع. السيد المسيح أطاع بحبه الآب حتى الموت موت الصليب، فهل هو أقل من الآب؟ لا.

حينما نطيع لا تصير شخصياتنا أقل من شخصيات من نطيعهم ولا أضعف منها. **إنما نطيع لأننا نشارك مسيحنا روح الطاعة. فالطاعة لها عذوبتها أن نصير أيقونة المَطيع العجيب.**

هكذا ليتنا في كل أحاديثنا الإيمانية بكل جوانبها لا يفارق الله الناري أعيننا فنصير نحن نارًا متقدة، **أيقونة لكلمة الله الناري.**

و – يصير قلب الكاهن نارًا متقدة إن عرف **كيف يحيا حياته الكنسية كحياة سماوية**، أو كرفيق للسمائيين خدام الله الناريين. هنا نقف إلى لحظات لنسمح أنات كثير من الكهنة: كيف أوفق بين حياتي الشخصية والأسرية والخدمة الكنسية والكرازة والالتزامات الإدارية في الكنيسة؟ ما يعانيه الكاهن من تمزيق نفسي خلال شعوره بعدم القدرة على الالتزام بتحقيق كل هذه المطالب ينبع

عن عدم إدراكه إن الحياة في المسيح يسوع وحدة واحدة لا تتجزأ. فالكاهن في حجرته الخاصة وهو يتعبد بالتمتع بالكتاب المقدس أو الصلاة أو المطانيات يحمل في قلبه وكما على ذراعيه أسرته وشعب الله بل وكل البشرية ليتعبد لله الناري لحساب كل البشر. إنه يشارك السيد المسيح الذي جاء ممثلاً عن البشرية ومحبًا لهم!

والكاهن في خدمته الكنسية الجماعية لا يرى الشمامسة والشعب ومن حوله، ولا يصلى لكي يتمتعوا بالصلاة بل يرى كأنه قد وقف كموسى النبي على جبل سيناء يتحدث مع الله شخصيًا. أنه يقول مع **القديس أغسطينوس** الأسقف العجيب في حبه لشعبه أنه يشعر كأنه لا يوجد في العالم كله سوى الله ونفسه، ليس ما يشغلها عن الله كائن ما.

هكذا إذ تمتزج العبادة الجماعية بالعلاقة الشخصية بين الله والمؤمن، سواء كان كاهنًا أو من الشعب لا يشعر بالعجز عن تدبير وقته وعمل موازنة بين عبادته الخاصة والجماعية والتزاماته نحو أسرته وشعب الله. **يصير كله حياة واحدة ملتهبة بنار سماوية.**

ز - يكاد يشتكي كل الكهنة من ضيق الوقت، والشعور بالعجز عن تحقيق رسالتهم بسبب الوقت. الكاهن الناري يرى في كل نسمة من نسمات عمره بركة إلهية قادرة أن تعمل بما يتحدى الزمن. كل نسمة نتنسمها تتحرك أعماقنا متجاوبة مع روح الله

القدوس الساكن فيها **فيصير كل الوقت مقدسًا للرب. لا، بل حتى إذ ينتهي الزمن يبقى المؤمن عاملاً بصلواته بنفسه النارية لحساب ملكوت الله.**

ليتنا نحرص على كل دقيقة من عمرنا لكي تكون مقدسة ومكرسة للرب، فيتقدس زمن عمرنا، ونعمل بقوة فائقة حتى بعد خروجنا من دائرة الزمن.

يقول **القديس جيروم** إن عمرنا هو مجموعة من الساعات إن ضاعت ساعة لن تعود بعد! ويقول **القديس يوحنا ذهبي الفم** إن ما نخطئ فيه لمدة ثوان قد لا نستطيع إصلاحه في سنوات. فمن يضرب يده بالسيف في ثوان لا يقدر كل الزمن أن يصلح ما فعله في هذه الثواني. هكذا نحرص ألا نسيء استخدام ثواني حياتنا بارتكاب خطايا أو بالإهمال والتراخي، فقد لا نستطيع تعويض ذلك.

ح – يتحول قلب الكاهن إلى نارٍ مقدسة إن **حمل ببصيرته نظرات المسيح الناري**. مسيحنا قدم الفداء من أجل العالم كله حينما كان العالم في عداوة معه، حتى خاصته أيضًا لم تقبله! إنه يعلم أنه بالصليب يجتذب كثيرين من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها لكي يتمتعوا بخلاصه.

كثيرًا ما يحطم اليأس نفوسنا، فنظن كأنه لا رجاء لخلاص إنسان معين، أو كأنه لا رجاء للخدمة في العالم.

يرى **القديس أغسطينوس** أننا لن نفقد الرجاء مطلقًا في خلاص إنسان مادام قد بقى له أن يعيش ولو إلى نسمة واحدة. لو أن الله لا يترجى خلاصه فلماذا يبقيه هذه النسمة؟

وعود الله صادقة وأمينة، وهو له بقية باقية مقدسة في كل جيل في كل المسكونة، لذا يليق بالكاهن ألا يحطمه اليأس، ولا يبعث روح اليأس في قلوب أخوته الكهنة أو المخدومين.

إنها حرب خطيرة أن يطفئ عدو الخير الروح الناري في قلوب الخدام ببث روح اليأس فيهم، فيظنوا أنه لا خلاص بعد للعالم!

ط. إذ يلتقي القلب بالله الناري ويعيش معه يتحول إلى لهيب نار. ولكن كيف يلتقي معه؟ **كتابنا المقدس ليس كلمات وحروف وحبر وورق، لكنه إعلان عن الله محب البشر الناري الخفي وراء الكلمات.** بالإنجيل المفتوح دومًا أمام عيني الكاهن يتجلى الله في قلبه ويحوله إلى نارٍ مقدسة.

عمل الكاهن هو أن يختفي وراء الكتاب المقدس، فيجد مسيحه معه، يلتقي به ولا يفارقه، بل يحمله إلي قلوب من يخدمهم ويتعرف عليهم.

لا تطفئوا الروح!

يصرخ معلمنا بولس الرسول محذرًا إيانا: "لا تطفئوا

الروح!" بعد أن تحدثنا عن الجانب الإيجابي الخاص بإلهاب القلب بالروح يليق بنا أن نشير سريعًا بل وفى اختصار إلى الجوانب السلبية التي تطفئ الروح في حياة الكهنة.

١. **انشغال الكاهن بالمباني الكنسية والإداريات والأنشطة الاجتماعية والمجاملات عوض الانشغال بأبواب السماء المفتوحة.** فالكاهن إذ يرفع قلبه نحو الله طالبًا منه أن يفتح عينيه فيرى السماء يستطيع أن يسحب قلوب الشعب معه إلى السماء.

حينما يمارس الكاهن الحياة السماوية تتقدس كل حياته وكل ما يعمل ينجح فيه. يشتهى الكل أن ينصت إليه، ويطلبون مشورته، وتتبارك كل الأنشطة الكنسية.

السلوك الروحي السماوي هو طريق الصليب الضيق الذي حتمًا يبلغ بنا إلى المجد الأبدي، أما الارتباك بالزمنيات فهو الطريق السهل المتسع الذي يؤدي إلى الهلاك.

٢. اهتمام الكاهن بالكم لا بالكيف. فما يشغل ذهنه هو عدد الذين يستمعون في الاجتماعات أو كثرة الأنشطة، لا أن يحمل كل نفس إلى التمتع بعمل الثالوث القدوس.

٣. إساءة فهم تعبير "**كرامة الكهنوت**". كرامة الكاهن أن يمارس عمل السيد المسيح وهو غسل الأقدام، وبذل ذاته من أجل

كل إنسان، وشوقه أن يكون آخر الكل. ليست الكرامة أن يسمع كلمات مديح أو يُكرم في المجتمع كقائدٍ، بل أن يكون ذبيحة حب يومية لحساب السيد المسيح ومحبوبيه كل البشر.

انشغال الكاهن بكرامته البشرية تطفئ نار قلبه الإلهية.

✞ ✞ ✞

روحك الناري يلهب أعماقي!

هب لي أن أصير كشاروبٍ أو ساروفِ ناريٍ!
أصير كعرش لك، أتمتع بحضرتك يا أيها النار الآكلة.
تتحرك أعماقي للعمل الدائم حتى أرى البشر صاروا ملائكة ناريين.
أراهم خدامك الواقفين دومًا في حضرتك.

ما لي أرى العالم أشبه بمقبرة،
حطمت الخطية النفوس، فصارت موتى في القبور.
من يقيم الأموات سوى روحك الناري واهب القيامة؟
روحك يقيم من المقابر سماء،
ومن البشر سمائيين ناريين.
بنارك الإلهية لن أيأس قط!
فأنت وحدك قادر أن تخلص النفوس!
أنت هو إله المستحيلات !

ليلتهب قلبي بنار روحك فأحمل كل نفس إليك.
يدخل بها إلى حضن أبيك الفائق.
ويكشف لها عن المجد الذي أعددته لها،
ويهيئها هيكلاً مقدسًا للثالوث القدوس!

ما لي أعاني من المرارة والضيق؟
روحك الناري يحول أعماقي إلى سماء متهللة.
أصير أيقونة لك يا من أنت هو مصدر الفرح والتهليل.
أبعث في اخوتي روح الفرح،
وبروحك تحثهم ليصيروا معك وبك مصدرًا للفرح.

روحك الناري يقيم مني خادمًا ناريًا.
لن تقدر أفراح العالم أن تجتذبني،
ولا ضيقات الحياة أن تحطمني!
أطير كما إلى السماء لأعيش ككائنٍ ناريٍ.
لن يقدر العالم بكل ماديته أن يعوقني.
أطير حتى أبلغ إلى الأحضان الإلهية.

روحك الناري يجدد مثل النسر شبابي.
لن تحل بي الشيخوخة،
ولن يقدر الضعف أن يقترب إليَّ.

أعيش بروح القوة التي لا تضعف،
وبروح النصرة التي لا تُغلب.

روحك الناري يهبني شركة اتضاعك.
اجلس عند قدميك أتعلم من كل إنسان.
ترسل لي أطفالاً يعلمونني.
وأرى خلالك صلاحًا في كل إنسان.
تؤهلني أن اغسل أقدام أبنائك يا سيدي.
فأمارس عملك الذي لا أستحقه.

بنار روحك أسير كسفيرٍ لك على الأرض.
يرى الكل أيقونتك حيّة في حياتي.
أراك ويراك الكل في أفكاري وكلماتي وملامح وجهي.
أراك في كل عبادة وممارسة روحية.
تتجلى أمام عيني، فأشتهي يوم مجيئك.
تصير كل نسمة من نسمات حياتي ثمينة جدًا في عينيك.

روحك الناري يحملني إلى أعماق الكتاب المقدس.
أراك وراء الحروف متجليًا.
تنتظرني لكي أقتنيك يا من تشتهي أن تقتنيني.
لا أعود انشغل بالشكليات والرسميات.

بل اهتم بأن يقتنيك الكل يا مخلص العالم كله.

روحك الناري يحميني من حب المجد الباطل.
فلا أطلب كرامة زمنية ولا مجدًا بشريًا.
بل أطلب مجدك وحدك يا من تشتهي أن تمجدني أبديًا.

✞ ✞ ✞